فلســـــفة التربية

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« إذا لم تكن البطالة ناشئة عن نقص فى الشخص نفسه ، فهى ناتجة من غير شك عن خطأ فى روح تعليمه !! » (١)

« إن من يأنف اليوم من حمل الفأس ومن تلويث يديه بالطين لن يصلح غداً لاصلاح أمره إذا ما خانت به الحياة وقسا عليه القدر ! »

« لقد أفقدناهم الحماس وأسقاه ، وجعلناهم يقبلون على العلم بخمود دائب ، وتحجر متواصل ، وبطء شديد ! »

« من رسالة الدكتور جاكسن »

٤ — المتعلمون العاطلون

تبينت فى المقال السابق بعض نواحى الضعف فى التعليم الالزامى وبعض وجوه الاصلاح ، وسترى اليوم ناحيـة أخرى جديرة بالدرس والعلاج نظراً لمـا فيها من خطر شديد على كيان المجتمع القائم حاضره ومستقبله :

١ — العاطلون

أترى أولئك المتعلمين العاطلين ؟ أتسمع عن جيوشهم فى كل مدينة من مدن القطر ؟ أتلحظ حقدهم على كل حكومة لم تسلكهم فى سلك الوظفين المجدودين ؟ أتتبين تقاعدهم وتسكعهم وعجزهم عن المجاهدة فى الحياة إزاء الأجنبى الدخيل ؟ ثم نفورهم كبراً وتيهاً من أعمال البيع والشراء وغير البيع والشراء ، مما يظنون أنهم لم يخلقوا له فى كثير ولا قليل ؟

ذلك هو المشكل الذى نبسطه اليوم ونعالجه على ضوء التربية والتعليم ! والذى ينبغى على الدولة أن توليه من عنايتها نصيباً موفوراً نظراً لأن أولئك المتعلمين العاطلين خير تربة صالحة لانماء المبادئ والأفكار التى فيها كما قلت الخطر كل الخطر على كيان المجتمع نفسه حكومة وشعباً !

ترى لم نجمت هذه البطالة ؟ ومن هو المسئول عنها ؟ أفى البلد أزمة اقتصادية عنيفة فهم لا يجدون فيها عيشا ؟ وما بال أولئك « الأجانب » يملأون التاجر والمصارف ويقومون بمختلف المشروعات وينجحون فيها كل النجاح ؟ ألست ترى إلى الرومى أو غيره يدخل البلد فقيراً معدماً ثم يغدو بعـد سنين صاحب متجر عظيم ومُلك أعظم ؟ إن الخير فى هذا البلد كثير ، والعيش يسير ، ولكن العيب والأسفاه فى المتعلم نفسه وما قد طُبع عليه من كره للعمل والعاملين ، وعشق «للديوان» الثابت والراتب المضمون !! ولذلك يقول الدكتور « جاكسون » : إن الخطأ إنما يقوم فى روح التربية المطاة وما يوحيه من أن المدرسـة تأخذ بالأيدي من « الطين » حيث الجهد والنصب ، إلى « المكتب » حيث الراحة والكلام !! ألست تسمع أنشودة « الوظيفة » من أمك وأبيك وأقاربك وذويك ؟ ألست ترى « للموظف » قدراً فى المجتمع دونه قدر التاجر أو الصانع أو الفلاح ؟ ألست ترى طابع « الحكومة » يميز حامليه ويملأهم عجباً وتيهاً وزهواً وفخراً ؟ ألست ترى حولك كثيرين ممن يرون فى « العمل » حطة لهم ولعائلاتهم مع أنه قد يكون السبيل الوحيد لمعاشهم ؟ وأخيراً ألست تشاهد الثلث من خريجى المدارس الزراعية والتجارية والصناعية يتكالبون على الوظائف الفنية وغير الفنية ، مع أن الدولة قد أنفقت عليهم الألوف لتجعل منهم طبقة فنية راقيـة تأخذ بيد مرافق البلد الاقتصادية وترقيها ، وتحررها من قيود الجهل والتقاليد ، وتطبعها بالطابع القوى المنشود ؟(١)

٢ — العلاج

تلك إذاً هى «الفكرة الخاطئة» التى يجب أن نمحوها محواً بمختلف أساليب التربية والاقتصاد ، لأن التربية لا تستطيع

(١) هذا إذا تحينا الأزمات الاقتصادية جانبا ...

(١) والعجب أن العشرات من هؤلاء الفنيين ممن يدخلون الحكومة لا يلتحقون بأعمال تتفق وتقاتهم ! فكثير منهم كتاب لا أكثر ولا أقل ، وكثير غير هؤلاء يعملون فى أعمال تخالف أعمالهم الفنية الخاصة مخالفة كبيرة أو صغيرة . ومنهم من لا يتاح له استعمال ثقافته إلا فى ناحية ضيقة محصورة كمأمورى الزراعة الذين يحررون الأشجار فحسب ، أو ينبهون الحكومة إلى دود القطن ... ! ومعنى ذلك أننا تنفق الالوف المؤلفة فى بناء المدارس الفنية وفى تعليم الثلث دون أن نعمل على استغلال هذه الثقافة الفنية الواسعة إلى أبعد حدودها ... أنست ترى هـذا عجبا ؟ أعرف أحد خريجي المدارس الصناعية الذين يئسوا من الوظيفة فنصحه البعض أن يؤسس مصنعا للسبك فأسسه بالفعل ونجح فيه نجاحا مبشراً بكل فوز ، ولكنى حين أسأله عن رأيه فى الوظيفة أسمع منه ميلا شديداً إلى ترك المصنع والالتحاق بها ... !

وحدها أن تصلح كل شيء . يجب أن نحسّن الأسواق القائمة ، وأن نفتح أسواقاً جديدة ، وأن نعمل كما يقول الأستاذ جاكسون على زيادة « الطلب » ليرتفع أجر العامل ويغريه بالعمل وترك الحكومة ، كما يجب كذلك أن نجعل مدارسنا الفنية مسلحة بكل تجديد كهربائي أو ميكانيكي لتستطيع أن تواجه حاجات العصر ، وأن تصمد لمنافسة المحصولات الرخيصة التي تغرقنا بها أوربا وأمريكا واليابان ، وأن تحول مدارسنا الالزامية والابتدائية والثانوية إلى نظام آخر يسمح بكثير من « العمل » اليدوي مادام العاطلون من خريجي هذه المدارس أكثر عدداً وأفدح خطراً من خريجي المدارس الفنية . أفي المدارس الالزامية « عمل » بالمعنى الساذج البسيط ؟ وهل في المدارس الابتدائية غير ساعتين للعمل في الأسبوع منفصلتين تماماً في « عملهما » عن المواد الأخرى ؟ وهل يعدو « العمل » في التعليم الثانوي « اللهو والفراغ » عند أغلبية الطلبة الساحقة ؟؟

٣ — الصعوبة القائمة

وهناك فضلاً عن ذلك صعوبة كبرى هي قبول المدارس الثانوية لعدد عظيم من الطلبة لا تستطيع أن تقبله فيما بعد الجامعة والمدارس العالية لأنها لا تتسع له . ويقول بعض حضرات النظار إن حوالي ٣٠٪ من طلبة البكالوريا يقعون في هذا المشكل ، ويمضون حياتهم في يأس وقنوط وألم وشقاء . وإذاً فإما أن ينقص عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية حتى يستطيعوا أن يجدوا لهم منفذاً في التعليم العالي ، وإما أن يصبح التعليم الثانوي نفسه غاية ووسيلة معاً لا وسيلة تعد الناشئ للجامعة فحسب . والحل الثاني أليق بمصر ، لأن خمسا وعشرين مدرسة ثانوية للبنين ، وسبعا أخرى للبنات ، ليس بالعدد الكثير على بلد سكانه خمسة عشر مليوناً ! ! وإذاً فلننظر فيما ينبغي أن يكون عليه هذا التعليم :

٤ — الإصلاح المنشود

ينبغي أولاً أن يسود فيه الشعور بأنه إعداد للحياة لا للدراسة العليا فحسب . ويتأتى ذلك فيما يرى الدكتور جاكسن بوضع أساس عملي لا يجعل على « كيف » التعليم فيه ، وذلك بأن ندخل فيه الزراعة والطباعة وأشغال الخشب والحديد على نحو « جدي » مع تعديل المقرر أو بالأحرى تخفيفه تخفيفاً مناسباً . فمثلاً في السنتين الأولى والثانية : عشرون درساً للغات من أربعة وثلاثين ، ودرس رسم واحد ، ودرس أشغال لا يقوم به إلا قلائل لا يفيدون . فماذا يمنع من استعمال اللغة في تجارة عملية بدلا من قصرها على هذه الحصص الكثيرة التي لا تؤدي بالطالب بعد تسع سنوات إلى القدرة على كتابة خطاب تجاري صحيح النحو مستقيم المعنى؟[1] وماذا يحول بين الطلبة وبين جمعهم لحروف مجلتهم وطبعهم لها بأنفسهم ؟؟ ولم لا يزرع الطلبة حديقة المدرسة ويسهرون على تهذيب أغصانها وإروائها بدلا من رجل واحد تعينه المدرسة لهذا الشأن ؟ وكيف يتكلم المدرس عن الذباب وخطره والمدرسة ذاتها لا تعمل على منعه من دخول الفصل ؟؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن يعنى التعليم بغرس الروح الاجتماعية عن طريق « دراسة المشروعات » والجمعيات العلمية والرياضية والفنية التي تسودها روح التعاون والمحبة والتضحية واحترام القانون[2] ، ويجب أن يتاح للمدرس من الوقت ما يساعده على الاشراف التام على أعمال هذه الجمعيات و « العيش » فيها كمرشد حكيم ؛ هذا مع غرس السرعة والابتكار والذوق في نفوس الطلبة تلبية لحاجات « رجال الأعمال » الذين يريدون كل حاضر البديهة ، حكيم التصرف ، جميل الذوق وديع المحضر ، مطيعاً للقانون !

٥ — التوجيه المهني

ثم لا ينبغي أن يقف الأمر عند ذلك . إن مصر لفي حاجة كبرى إلى توجيه أبنائها توجيهاً سليماً يتفق وميولهم النفسية ، ويضمن على الأقل نجاحهم في عملهم وثقافتهم إن لم نقل نبوغهم فيها . والشبان عندنا لا يطرقون أبواب المدارس المختلفة جرياً وراء إشباع ميولهم الشخصية بقدر ما يطرقونها تحقيقاً لمطامعهم القاصرة في مهن محترمة كالقضاء أو الطب أو المحاماة ! أليس عندنا من يدخل الحقوق ليكون نائباً أو وزيراً ، ثم يفشل أخيراً في

(١) وهم يدخلون في أمريكا الكتابة على الآلة مع دراسة اللغة نحواً وهجاء فيقومون بثلاث عمليات في عملية واحدة

(٢) وفي المدارس أساليب من هذا النشاط كثيرة ، ولكن ما يزال ينقصها الروح الاجتماعي الصحيح بحيث تكاد تكون قشوراً أكثر منها لباً

موقفه أمام القاضي ويخاطبه كما يخاطب التلميذ الأستاذ؟[1] أليس عندنا من يدرس الفلسفة ليدعى فيلسوفاً ، ثم لا يكون بينه وبين الفلسفة الصحيحة إلا هوة سحيقة من الجهل والاعوجاج ؟ كم من مئات الحقوقيين قد أثبت له قدراً في عالم القانون ؟ وكم من خريجي التجارة أو الهندسة قد سجل لبلاده فخراً في مجال دراسته الخاصة ؟ إنها إذاً لآفة كبرى يجب علاجها علاجاً علمياً صحيحاً يتحصر فيما يسمي الآن « بالتوجيه المهني ! » ويستطيع الأستاذ في ذلك التوجيه أن يدرس ميول الطالب الحقيقية لا الوهمية أو المصطنعة ، وأن يقدم له النصح والإرشاد على أساس هذه الدراسة يستطيع أن يختبر ذكاءه وميله الأدبي أو الفني أو العلمي باختبارات خاصة يجرونها الآن في أوربا وأمريكا ؛ ويستطيع أن يلاحظه ويدرسه عن كثب طيلة أعوام الدراسة ليضم إلى نتائج هذه الاختبارات درايته الشخصية ؛ ويستطيع أن يقول له أخيراً عليك بالآداب أو الحقوق أو الطب أو الصناعة أو التجارة ، لأنك لا تليق ولا تنبغ ، ولا توفق ولا تسعد ، إلا في ذلك الذي دلتني عليه دراستي العلمية وخبرتي الشخصية ؛ ثم يستطيع باتصاله بذويه أن يسدي لهم النصح في مستقبل ولدهم حتى لا يقفوا عثرة في السبيل كما أراد لي والدي يوماً أن أدرس « التجارة » وأنا لا أهضم « الحساب » على الاطلاق ! ، وأخيراً يستطيع الناظر عملا برأي الأساتذة أن يزود تلميذه بخطاب خاص يحمله كشهادة محترمة لرؤساء المعاهد أو الأعمال التي يريد أن يطرقها كيما يكون « واسطته » فيها . . .

وبذلك وبغيره نوجد أعمالا للعاطلين ، وتوفيقاً ونبوغاً للمتعلمين ! . . .

« يتبع » محمد حسن ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الاميرية

(١) ويرجع جلوس المثقفين عندنا في المقاهي وانحرافهم الخلقي إلى أسباب أهمها أن المدرسة لم تحببهم في العلم للعلم ، وأنهم لم ينشدوا مهنتهم عن ميل صحيح فيهم ، وأنهم يلقون في عملهم اليومي ما ينفرهم من الاشتغال في فراغهم بما يفيد ، وهذه الأسباب جديرة بكل إصلاح لأن العمل إذا لم يقم به الانسان وهو محب له كان مصدر شقاء وانحراف لصاحبه ، وترجع أغلب أعمال الموظفين الفاشلة إلى هذا النوع من العمل البغيض

إبراهيم بك المويلحي

١٨٤٤ – ١٩٠٦

بقلم حفيده ابراهيم المويلحي

تتمة ما نشر في العدد الماضي

ثم سافر إبراهيم بك إلى باريس سنة ١٨٨٤ م وحرر العدد الرابع من جريدته « الاتحاد » بعد صمت أربع سنوات وطبع منها أعداداً كثيرة ، وكانت أشد لهجة من أخواتها فاستشاط السلطان غيظاً وحنق على إبراهيم حتى أنه أرسل إلى « أسعد باشا » سفير الدولة العلية في باريس بمذكرة مستعجلة يريد بها إبلاغ رغبته إلى الخديو إسماعيل بأن يأمر سكرتيره « إبراهيم بك » بالكف نهائياً عن إصدار جريدة « الاتحاد » المحررة تحت رعاية سموه

فلما تفاوض « أسعد باشا » مع الخديو أعلمه بأن لا يد له فيها مطلقاً وأنه برىء من تلك الظنون . فما كان من السفير العثماني إلا أن طلب من الحكومة الفرنسية ، بناء على رغبة السلطان ، نفي المترجم له من فرنسا

ولما كان هذا النفي غير مسبوق بأي محاكمة فقد انبرى المسيو بود دي مورسلي Baude de Maurceley يدافع عن إبراهيم ويستنكر وقوع مثل هذا الإجراء ويأخذ على وزير الداخلية الفرنسية تسليم إبراهيم لأسعد باشا بهذه السهولة ، في مقال نشر في حينه في جريدة « الفيجارو » عدد ٣٣١ سنة ١٨٨٤ م اختتمه بقوله : « إني أسأل بصراحة المسيو ولدك روسو Waldack Rousseau عن الضرر الذي يسببه وجود إبراهيم بك في باريس . — أم هل فقد بلدنا الجمهوري « حق الاقامة » فيه وأضحى غير قادر على منح الضمان الكافي للمحكوم عليهم سياسياً ! وإلا فما هو الأمان الذي يمكن أن يجده عندنا كل غريب فقد حق التمتع بمصالح بلده ؟ ألا يظن حضرة وزير الداخلية أنه من السذاجة أن ننال بسهولة وبدون محاكمة إبعاد صحفي فرنسي غير راض عن سياستنا الحالية من استانبول أو لندرة مثلاً ، لأنه يصدر جريدة عدائية هناك ؟ ! »